

دور المرأة المصرية فى الرقصات الشعبية بين التراث والتغريب الثقافي

أ.م.د/سمر سعيد شعبان

الأستاذ المساعد للرقص والألعاب الشعبية

بأكاديمية الفنون - المعهد العالى للفنون الشعبية

يعد التراث الشعبي من أهم روافد الثقافة فى العصور المختلفة لما لها من تأثير مباشر فى وجدان الشعوب كما انه يجمع بين المعتقدات الشعبية والعادات المتوارثة من جيل إلى آخر وهو من الممارسات الهامة التى اهتم بها الإنسان البدائي منذ فجر التاريخ .

كما تلعب الثقافة الشعبية دور كبير وهام فى الحفاظ على الموروث الثقافي الذى يميز المجتمعات المصرية، بما فيها من تنوع ثقافي (عادات وتقاليد- فنون- ثقافة مادية) يجعل منها منطقة خصبة ومادة ثرية للباحثين، " كما أن التراث الشعبي أكثر تمثيلاً لروح الشعب ومنطقة وتفكيره ومعايره فى تقدير الأمور".^١

حينما يرد مصطلح (التغريب)، فهو يعنى بالضرورة، صبغ المجتمع.. أي مجتمع، بالثقافة الغربية وأسلوب الحياة الغربي. يدخل فى ذلك القوانين، والتشريعات، ومنظومة القيم..التي تسيّر حياة الناس، بما فيها دور الرجل والمرأة فى الحياة العامة، وطبيعة العلاقة بين الجنسين، ونمط العيش والعمل، وطرائق التسلية والترفيه، وطريقة اللبس.. بل حتى الموسيقى والفلكلور .

التغريب هنا، يختلف عن التحديث والأسلوب العصري والحديث للحياة، الذي هو التعاطي مع التقنية وأساليب الإدارة الحديثة، والاستفادة من منجزات الحياة العصرية. لأنه.. لو كان الغرب فقط، هو من ينجز التقنية ويصنع التقدم التكنولوجي.. لجاز لنا أن نصف ذلك بالتغريب. لكن التقدم والتطور التقني، منجز بشري أسهمت وتساهم فيه كل أمم الأرض. بل إن أمة مثل اليابان، لها إسهامات فى هذا المجال، تفوق معظم الأمم الغربية، من دول الإتحاد الأوروبي.

الخلاصة أن هناك تغريباً (westernization)، وهناك تحديثاً (modernization).. والفرق بينهما واضح. إذ ليس كل تقدم علمي وتطور تقني يعد (تغريباً)، كما أنه ليس كل ما يأتي من الغرب، هو عصرية و (تحديثاً). من المؤكد بناء على ذلك، أن هناك فرقاً بين التحديث والتغريب. التحديث باختصار، استيراد التقنية و(توطينها)، أما التغريب فهو عملية ثقافية، تقوم على نبذ القيم والثقافة الأصلية، وإحلال القيم الغربية مكانها.

والتغريب هنا يعنى n صبغ المجتمعات بالصبغة الغربية في كل جوانب الفكر والسلوك، وبهذا يصبح المجتمع يفكر ويعيش كما يفكر ويعيش الغربيون ، فلا يبقى له من عاداته وتقاليدته إلا القليل، وهنا يجب علينا أن ننتبه إلى خطورة هذا التغريب لأن طمس الهوية الثقافية من أخطر أنواع الحروب .

وقد اتخذ هذا التغريب مظاهر متنوعة منها الفكري والاجتماعي والسلوكي على النحو التالي :

الجانب السياسي :-

ظهرت أنظمة الحكم المقلدة للأنظمة الغربية ، والتي أصبحت تنظر إلى النظام الديمقراطي الغربي وحقوق الإنسان حسب المفهوم الغربي على أنه الأصوب والأرقى وساهم الجانب السياسي بشكل كبير من خلال القائمين والراعون لهذا الفكر ومساعدتهم وإيصالهم إلى مواقع صنع القرار لكي يأخذوا دورهم في الترويج للفكر الغربي وأنماط الحياة الغربية.

المجال الاجتماعي:-

اجتاحت المنطقة حالة هستيريا التقليد الأعمى، الذي ظهر على حياة الناس في مآكلهم ومشربهم وملبسهم وكافة أنماط معيشتهم، والبعد عن الجذور الثقافية التي ينتمون إليها ومحاولة التخلي عن كل ما هو موروث ثقافي كان يظهر طبيعة كل مجتمع وتميزه عن الآخر من خلال مجموعة من العناصر الهامة والمؤثرة في حياة الفرد ومن أهم هذه الموروثات :-

احتفالات الزواج :-

التي كانت لها مراسم معينة وتقدم بشكل احتفالي خاص يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ولكن مع التغريب الثقافي أصبحت هذه الاحتفالات تأخذ شكل يختلف تماما عن ما هو كان قديما، علما بأن لكل مجتمع من المجتمعات ما يتميز به من سمات خاصة تجعله يختلف عن الآخر في هذه الأحتفالية وسوف تستعرض الباحثة نموذجا يوضح أهم السمات التي كانت تمارس في هذا الاحتفال .

احتفالية الزواج في المجتمع الفلاحي :-

يتميز احتفال الزواج في المجتمع الفلاحي ببعض الرقصات الشعبية الخاصة التي تجعل من الفرح أكثر من مجرد احتفال عائلي، فنرى الأمر يتحول إلى مهرجان وعرس قروى شامل تشارك فيه كل القرية رجالها ونسائها صغيرها وكبيرها ونرى الأنوار تضيء ظلمة الأراضي الزراعية وتعلو أصوات الحفل، كما كانت تعتمد على الفرق الموسيقية الشعبية التي كانت تحيل من ليلها الهادئ إلى آخر ملئ بالبهجة والسرور .

احتفالية الزواج في المجتمع البدوي :-

يطلق على الاحتفال بالزواج في المجتمع البدوي (السامر) ، كما يقام السامر أيضا عند الاحتفال بضيف كبير، من أهم ما يميز هذا الاحتفال أنه يقام منذ بداية الخطبة حتى الزفاف والتي تظل من عشرة أيام إلى خمس عشر يوما وينقسم الاحتفال إلى :-

أولا : السامر

في هذا الجزء يقف الرجال على هيئة صف ثم يبدأ أحدهم بالغناء الفردي ويسمونه (اليوشان) وهو عبارة عن شعر من أربع شطرات ويؤدى بنظام خاص غالبا وصف للعروسين .ثانيا : الدحية

يتسم هذا الجزء بالسرعة والحماس وفيه تدخل (الحاشى) أمام الصف فيزداد حماس الرجال وفيه يردد الرجال (دحية-دحية) طول الأداء، ويعتبر هذا الحوار الحركي الراقص من أبرز ما يميز السامر .

ثالثا : الريدة

هذا الجزء يتسم بأنه بطيئ وهادئ، وفيه يبدأ أحد الرجال الموجودين في الصف بالغناء بطريقة ارتجالي ويسمونه (البدبع) وهذا لأنه يقوم بألقاء الشعر بطريقة مبدعه وفصيحة . وبعد عرض هذه الاحتفالات يمكن القول أن هذه الاحتفالات أصبحت نادرة الوجود إلا في أماكن قليلة جدا وأصبح الاحتفال يقتصر على استخدام (D.J- وقاعات الأفراح- وأغانى المهرجانات) .

ومن خلال ما سبق يتضح لنا ما فعله التغريب الثقافي ومدى تأثيره على الموروثات الثقافية، ولكن على الرغم من كل ما حدث يوجد كثيرا من الأبحاث والمهتمين بالحفاظ على هذه الموروثات وتفعيل دور الباحثين والمهتمين، وهنا يجب علينا إلقاء الضوء على دور المرأة في الحفاظ على هذه الموروثات الثقافية فى مجالات عدة أهمها :- (الحرف الشعبية- القصص الشعبية- الموسيقى الشعبية- الرقص الشعبي) .

دائماً ما يشير بعض المشتغلين على التراث الشعبي بأهمية دور المرأة، ويرجع أهمية دور المرأة إلى أن أي تراث شعبي له ميزة التعبير عن حكمة ورؤية شعبه ونظرتة الكونية، وتراثنا الشعبي أعطى المرأة دوراً بارزاً في جميع نواحي الحياة .

فإذا نظرنا إلى الموضوع من جانب **الحرف الشعبية** سنجد أنها تلعب الدور الأساسي في أغلب أنواع الحرف الشعبية من (حصير- مشغولات نحاسية - أعمال التطريز) وهذا يمثل جانباً كبيراً من اهتمامها، كما أصبح اليوم يمثل لها جزء كبير من دخلها التى تساهم به فى ظروف .

وكذلك في مجال **الموسيقى الشعبية** كان لها الدور الأكبر في تأسيس الفرق الشعبية التي لاتزال قائمة حتى اليوم، والتي ساهمت في الحفاظ على النصوص الشعرية وغيرها من أساليب الغناء،والتي تستخدمها دائما فى عادات دورة الحياة (السبوع - الخطبة - الزواج - الموت) .

وكذلك في الرقصات الشعبية التي تؤدي في مختلف الاحتفالات والتي تعتمد على تجمع النساء مع بعضهم البعض من أجل أداء بعض الحركات الراقصة، مثال على ذلك عادات دورة الحياة (السبوع - الخطبة - الزواج) وأيضا الطقوس والحركات التي تؤدي في الزلزال . هذا إلى جانب دورها كراوية للقصص الشعبية، فهي في سردها مختلفة، إذ تقول الحكاية ومن ثم تقوم بتعديلها وخلق أجواء أخرى، إذ كانت تروي القصص بأساليب مبتكرة، فالتراث نظر إلى المرأة أيضاً على أنها عالم قائم بذاته. فكان لها دورها في مجال الحفاظ على العادات والتقاليد وكل ما يتعلق بالتراث الشعبي والحرف والصناعات .. ولا ننكر أن لكل مجتمع جوانبه السلبية والإيجابية.

"ولما كان التراث الشعبي تعبير حقيقي عن العقل الجمعي وانعكاس لوعيه وسلوكه الاجتماعي، فإن هذا التراث يكشف لكل باحث كيف اهتم التراث الشعبي بوجود المرأة في الحياة، وهو ما عبر عنه الفلكلور الشعبي بالعديد من الابيات التي تحفظها الجدات والأمهات وتنقلها إلى الأبناء والأحفاد عن طريق الانتقال الشفاهي"٢.

وتعد نشأة أي فنان ومسيرة حياته السجل الحقيقي الذي يطلعنا على العوامل التي أثرت في تكوينه، وستحاول الباحثة إلقاء الضوء على دور الفنانة فريدة فهمي في الحفاظ على الموروث الشعبي عن طريق دورها في الحفاظ على الرقصات الشعبية المصرية ومدى تأثيرها وتغيير نظرة المجتمع إلى رقصة الفنون الشعبية، وكيف أثرت ظروف نشأته وحياته في إثراء خبرته وتجاربه الفنية .



فريدة فهمي

ولدت " فريدة فهمي فى ٢٩ يونيه ١٩٤٠ " بالقاهرة، وقد تميزت منذ شبابها الباكر بتفوقها الرياضى كإحدى لاعبات السباحة بنادى هليوليدو، وكانت البداية لفريدة فهمي مع فرقة رضا منذ كانت طالبة بكلية الآداب جامعة القاهرة وقد شجعها على ذلك والدها الدكتور حسن فهمي أستاذ الجامعة حيث لم تكن فريدة فهمي فى حاجة إلى عمل لتعيش منه، وإنما رقصت لاقتناعها بأنها تؤدى فنا من أرقى الفنون فى العالم، فالفن كلمة تحوى فى مضمونها الجمال والسمو والرقى ولا يعيبه ألا من يستغل هذا المسمى لتقديم أعمال هابطة تسئ إليه .

والمعروف أنه فى ذلك الوقت كان الرقص فى مصر مهنة من ليست لها مهنة تلجأ إليها الراقصة إذا ضاقت بها سبل الحياة، فتهرب من بيت العائلة وتلجأ الى الرقص كأسهل طريقة للكسب، ومن الطبيعى أن معظم المصريات يتمتعن بموهبة الرقص الشرقى نتيجة العادات التى نشأت عليها فأثرت هذه العادات عليهن فلا تحتاج الراقصة من هذا النوع إلى تدريب وإنما يكفى أن يكون لديها اللياقة والقوام الممشوق والوجه المعبر .

لقد نشأت فريدة فهمي فى مرحلة لم يكن الفن الاستعراضى المستلهم من الفنون الشعبية معروفا بالمفهوم الذى نعرفه الآن، كفن مسرحى راق يسهم فى الحفاظ على التراث الشعبى والفنون الشعبية، ويحتاج إلى دراسة وتدريب وتصميم وإخراج وليس فى إمكان أية مؤدية ذات موهبة أن تحترف هذه المهنة دون أن تمر بمراحل دراسة وتدريب وإعداد شاق

عندما اقتنعت فريدة فهمي بهذه المعاني الجميلة عن فن الرقص لم تدخر جهدا فى التدريب والتعليم حتى جاءت عروضها على المسرح معبرة عن تجربة ووعى وفهم لطبيعة الرقصات التى تؤديها، ومن هذا المنطلق رقصت " فريدة فهمي " طالبة بكلية الآداب جامعة القاهرة بالإضافة إلى المستوى العالى الذى أدت به عروضها على المسرح، فان أحدا من المشاهدين لم ينظر إليها تلك النظرة التى طالما التصقت بهذا الفن فى الماضى، بل إن كبار الكتاب والصحفيين ذكروا فى مقالاتهم عنها أنهم أمام أخت لهم تقدم على المسرح أروع الفنون وقد كان نتيجة لذلك أن تغير مفهوم الناس لهذا الفن وأصبح الرقص الشعبى منتشراً فى معظم محافظات مصر تؤديه فرق ترعاها الدولة وأصبحت هذه الفرق تجوب العالم وتمثل مصر فى المهرجانات العالمية فتعطى أروع الأمثلة عن الثقافة والحضارة المصرية.



بنت البلد

وعندما بدأت فرقة رضا واجهت الفرقة عدة مشكلات فنية، فكيف تعبر بنت البلد بالحركة، وكيف تتحرك الفلاحة المصرية على المسرح وماهى أوضاع وتشكيلات المفردات الحركية للرقص المصرى المستلهم من الفن الشعبى؟ وعملت " فريدة " و " ومحمود رضا " على اكتشاف هذه الحركات والمعانى التى تعبر عنها فى محاولة لتوضيحها ووضعها فى مناهج يسهل تعليمها للراقص والراقصة أعضاء الفرقة. وقد استلزم هذا جهداً كبيراً حتى أصبح لفرقة رضا أسلوب مميز فى التدريب وتصميم الرقصات تتفرد به دون سائر الفرق التى كانت تقلد الحركات وتأخذها قضية مسلمة ولم تقدر أو تعرف الجهد الذى بذل لإرساء هذه القواعد أو هذا الأسلوب.

وقد كانت " فريدة فهمي " ملتزمة بأداب العروض المسرحية ومتطلباتها التزاماً لا حدود له، ومن أمثلة ذلك ما حدث لها أثناء عرض قدمته الفرقة للترفيه عن الجنود المصريين أثناء حرب الاستنزاف، فكان العرض وسط الصحراء حيث أعد الجيش مكاناً للرقص عبارة عن قماش الخيم مدهون بالشمع وكان المكان جاهزاً ومعرضاً للشمس مدة طويلة، وطبيعى أن يكون الشمع الذى يغطى القماش سبباً فى تزللق الراقصين والراقصات فيضعف من مستوى العرض فما كان من فريدة أن خلعت حذاءها أثناء الرقص غير مدركة لسخونة الأرض المدهونة بالشمع. وبعد انتهاء العرض تم نقلها إلى المستشفى حيث تورمت قدمها من شدة الحرارة ولما سألت لماذا لم تترك الرقصة وتخرج بدلاً من تعرضها للمخاطر قالت ما ذنب المتفرجين.



عراقية فرقة رضا للتربية، الجند

ويحكي الفنان محمود رضا عن تفانى فريده فهمي والتزامها قائلاً : " ان فريده فهمي أكثر أعضاء الفرقة التزاماً وحباً لفنها ورداً على موقفها سوف أقارن هذا الموقف بموقف فرقة الرقص الأمريكية العالمية " الفين ايلي " عندما كانت تقدم عروضها بمسرح الصوت والضوء بالهرم، وكان هناك في الجو بعض الرطوبة التي جعلت أرضية المسرح "زلقة" بعض الشيء فما كان من الفنان " الفين ايلي " إلا أن قام بنفسه بالاعتذار للجمهور وألغى العرض بأكمله لهذا السبب، كان له كل الحق طبعاً في هذا التصرف خوفاً منه على سلامة الراقصين، ولكن فريده فضلت احترام المشاهدين من جنود وضباط الجيش على سلامتها ٣ .

ولم تكن فريده فهمي راقصة مبدعة فحسب، بل كانت مصممة أزياء واعية فمن مواهبها التي لا يعرفها جمهورها العريض نبوغها في تصميم الأزياء الخاصة بعروض الفرقة وأبسط مثل على ذلك موشحات فرقة رضا المعروفة والتي قامت فريده بتصميم جميع الملابس الخاصة بتلك الموشحات، وفورت لهذا البرنامج أهم عناصر نجاحه .



صور تعبر عن تصميمات فريدة فهمي لأزياء فرقة رضا ولم يعطل اهتمامها بهذا الفن عن دراستها حتى حصلت على ليسانس الآداب ثم سخرت هذه الدراسة لخدمة هذا الفن بحصولها على درجة الماجستير من جامعة كاليفورنيا U.C.L.A بالولايات المتحدة في مادة الرقص الشعبي المصري وعنوانها " التطور الإبداعي عند محمود رضا " .

هذه هي فريدة فهمي رائدة فرقة رضا ورائدة الفنون الشعبية في مصر والتي داومت على عطائها بصفة مستمرة على مر السنين منذ إنشاء فرقة رضا عام ١٩٥٩ وحتى يومنا هذا سواء على خشبة المسرح داخل البلاد أو في معظم أنحاء العالم أو على شاشات السينما والتلفزيون أو في دراساتها الأكاديمية بجامعة مصر وأمريكا .

وقد استحققت فريدة فهمي بجدارة وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى منحه لها الرئيس الراحل " جمال عبد الناصر " ووسام الكوكب الأردني، منحه لها الملك " حسين " ملك الأردن ووسام " الحبيب بورقيبة " رئيس تونس، والعديد من شهادات التقدير .



فريجة تتسلم وسام العلوم والفنون من الرئيس عبد الناصر

الخاتمة

لقد مرت رحلة هذا البحث لكي تظهر أهمية دور المرأة المصرية في الحفاظ على الموروثات الشعبية عامة والرقص الشعبي خاصة، وكيف كان دور الفنانة فريدة فهمي في نقل هذا التراث من البيئات المختلفة في المجتمع، وتوظيفه على خشبة المسرح من أجل الحفاظ عليه من الاندثار، وإلقاء الضوء على فن من أهم الفنون الذي يعكس الحياة الاجتماعية للمجتمع المصري، مما أدى إلى البعد عن التفرغ الثقافي بشكل كبير، حيث يتم حتى الآن أداء هذه الرقصات الشعبية من خلال فرقة رضا للفنون الشعبية .

ومن هذا المنطلق ظهر دور الفنان المبدع محمود رضا، والفنانة فريدة فهمي في قيادة هذا الفن الشعبي الأصيل ووضع له الأسس والأسلوب الفني الذي يعتمد على الوصول بالفنان الراقص والراقصة إلى أعلى مستويات الأداء الفني .

المراجع

١. أجال محمد أبراهيم- نادية محمد درويش الرقص الأبتكارى الحديث دار الهنا للطباعة . ١٩٧١ .
٢. أحمد رشدى صالح- الفنون الشعبية فى ثمانية أعوام (١٩٥٢- ١٩٦٠) مجلة الفنون الشعبية - العدد الثانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٠ م .
٣. الرقص والحياة - قصة حياة محمود رضا- الكتاب الذهبى مؤسسة روزاليوسف ٢٠٠٢
٤. سعد الخادم- الرقص الشعبى فى مصر - المكتبة الثقافية - العدد ٢٨٦ - مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .
٥. سمير جابر - الرقص الشعبى فى مصر - الهيئة العامة للأستعلامات - الفنون الشعبية المصرية - دار الأسكندرية للطباعة والنشر وزارة الأعلام ١٩٩٣ .
٦. عادل عمر عفيفى نحو دراسة علمية للرقص الشعبى العربى مجلة الفن المعاصر أكاديمية الفنون المجلد الأول ١٩٨٧ .
٧. عبير السيد- فرق الرقص الشعبى- الهيئة العامة لقصور الثقافة- مكتبة الدراسات الشعبية - القاهرة ١٩٩١ .
٨. علا توفيق - التطور التاريخى للرقص الشعبى بمصر فى القرن العشرين-رسالة دكتوراه غير منشورة القاهرة كلية التربية الرياضية للبنات -جامعة حلوان ١٩٩٩
٩. فاطمة على عزب- رقصة مصرية ذات طابع قومى يؤديها جميع أفراد الشعب- مشروع قومى-المؤتمر الأول للفنون الشعبية والتراث المجلد الأول - كلية التربية الرياضية بنات الأسكندرية ١٩٩٣ .
١٠. فاطمة محمد حسان- دراسات فى فن التعبير الحركى- دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
١١. نادية الدمرداش- علا توفيق- مدخل الى علم الفولكلور دراسة فى الرقص الشعبى - عين للدراسات والبحوث الأنسانية والاجتماعية الطبعة الأولى ٢٠٠٣ .
١٢. عز الدين اسماعيل " توظيف التراث فى المسرح مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ ص ١٧٨ .
١٣. لقاء الباحثة مع الفنان محمود رضا يوم الاربعاء الموافق ٩ / ١٠ / ٢٠٠٥